تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الى معالى وزير المعارف :

سيدى الأستاذ

حدثت اليوم إليك كلمات تنوء بالألم وتفيض بالمرارة ، وما أجدر حديثا كهذا الحديث أن تنصت إليه بقلبك قبل أن تنصت إليه بأذنك ، لأطمئن إلى أنه قد هز منك منافذ الشعور قبل أن يهز منافذ الأسماع !

هذا الألم الذى يلهب القلم فى يدى مرجعه إليك ، وهذه المرارة التى تلفح الأفكار فى رأسى مرجعها إليك أيضا . . . ومعذرة لهذه البداية الثائرة أو لهذه الصراحة السافرة ، لأنها حق « رسمى » تفضلت يوما فسمحت لى به ، وأعربت لى عن تأييدك له ، ما دام شاهده الصدق ورائده الضمير !

لقد كنت أنتظر بعد ذلك اللقاء الذى تحدثت فيه إليك ذات مساء ثم طالعت به الناس على صفحات الرسالة ، أنك ستقف من الأدب والأدباء نفس الموقف الذى وقفته من التعليم والمعلمين : عناية ورعاية ، وتأييد واهتمام ، وعطف على كل أمل مظلوم وكل حق مهضوم . كنت أنتظر هذا كله وينتظره معى الناس ، ولكن الأيام تمضى وعجلة الزمن تدور ، وأنت مشغول عن تلك الحقوق والآمال . . وتذهب مع الريح كل صرخة جازعة ، وكل لهفة ضارعة ، وكل أمنية جميلة كان لها فى النفوس وقع وفى القلوب مكان !

أليس عجيبا حقا أن تشغل عن حقوق فئة تجمع بينك وبينها قرابة الروح ، وعن آمال طبقة تربط بينك وبينها صلات الأدب ؟ ! صدقنى إذا قلت لك إن عجب الأدباء لا ينتهى ، وإن أسفهم لا ينقضى ، وإن كل مظلوم بينهم قد بات ينظر إليك وهو يردد قول الشاعر القديم :

وأرى الأيام لا تدنى الذى أرتجى منك وتدنى أجلى !

أتحب يا سيدى أن تسمع قصة واحد من هؤلاء المظلومين فى عهدك؟ عهدك الذى ترقبوه كما يترقب المحل قطرات الغيث، وتلقوه كما يتلقى الغريق أسباب النجاة ، وعاشوا على الأمل فيه كما يعيش المحروم على حرارة الرجاء ؟ !

إن لدى بضعة أسماء أود أن أقدمها إليك ، ولكننى أكتفى اليوم بتقديم اسم واحد هو على التحقيق شهيد هذا الأسبوع . . هذا الاسم الواحد هو النموذج الصارخ الذى يشير إلى غيره من النماذج ، أو هو المثل الواضح الذى يدل على غيره من الأمثال ، واستمع يا سيدى لقصة هذ الشهيد :

شاب من هؤلاء الشباب المخلصين لنشر التراث العربى القديم : يسعى إلى نوادر مخطوطاته فى كل مكتبة هنا وكل مكتبة هناك ، ويمنحها من وقته وجهده وماله فوق ما يحمل طوق أمثاله ممن يجودون فى سبيل العلم بالوقت والجهد والمال . . عمل جليل كما ترى ، ومع ذلك فقد ظلمته وزارة المعارف حين نسيت جهده أو تناسته ، أو حين جهلت قدره أو تجاهلته ! ظلمته حين وضعته فى مكان غير مكانه ، هناك حيث ترهق الأعصاب وتخور الهمم وتخمد الأنفاس ، وهناك حيث قدر له أن « يلقن » أطفالا أكثرهم من أبناء الأجانب « مبادئ » القراءة والكتابة باللغة العربية . . أرأيت يا سيدى الأستاذ ؟ أرأيت كيف تجبر وزارة المعارف أديبا على أن يقضى أكثر وقته مع « أطفال » يقوم منهم نطق اللسان ، ثم لا تتيح له من هذا الوقت إلا أقله ليقضيه مع « رجال » من طراز أبى الفرج أو أبى حيان ؟ !

لقد قضت وزارة المعارف أن ينفق الأستاذ السيد أحمد صقر سبع سنوات من عمره فى مدارس الليسيه الفرنسية . . وكأنما أرادت بعد هذا العمر الطويل أن تكافئه على ما قدم من جهود وما بذل من تضحيات ، فأمرت منذ أيام بنقله إلى أقاصى الصعيد ليستقر مرة أخرى بين أطفال مدرسة « كوم امبو » الابتدائية ! اعذرنى يا صاحب المعالى إذا تعثر القلم فى يدى وتثورت الأفكار فى رأسى واستحالت الكلمات إلى صرخات : من المسئول أمام الله حين تفرق وزارة المعارف بين هذا الأديب وبين أولاده الصغار الذين يتعلمون فى مدارس القاهرة ، وهو يقوم منهم مقام

الأب والأم التي فارقت الحياة وتركتهم وديعة بين يديه ؟ ! ومن المسئول أمام التاريخ — تاريخ الأدب على الأقل — حين يلقى الأدباء على يد وزارة المعارف مثل هذا اللعن ويتعرضون لمثل هذا الهوان ؟ ! إن الحياء يمنعني من اتهامك ، ولكن الحق يدفعني إلى هذا الاتهام . لماذا ؟ لأنك لو شملت الأدباء بعطفك ، وأفضت عليهم من برك ، وقربتهم منك حتى تعرف من منهم مهضوم الحق ومن منهم مظلوم المصير ، لما أهملت وزارة المعارف شأنهم وجحدت فضلهم وتركتهم نهبا لتلاعب الأيام . . من هنا يا سيدي — واغفر للشعور ثورته وللقلم جرأته — تأتي مسئوليتك أمام الله وأمام التاريخ ، لأنك في الطليعة من هؤلاء الذين يعنيهم هذا القول الكريم : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ! !

ماذا أقول لك يا صاحب المعالي بعد هذه الكلمات ؟ أقول لك إن هذا الأديب يجب أن ينصف وأن يوضع في مكانه . . إن مكانه هناك في دار الكتب ، أو في مجمع اللغة ، أو في تلك الإدارة التي تسميها وزارة المعارف « إدارة نشر التراث القديم » أقسم لك إنها تسمية ظالمة ؛ ظالمة لأن تلك الإدارة موجودة حقا ولكنها لا تفعل شيئا . . وتسألني لماذا فأقول لك : لأن الذين يصلحون لها ويستطيعون أن ينهضوا بها قد قدر لجهودهم أن تذهب هباء مع الريح ، بين مدرسة فرنسية هنا ومدرسة مصرية هناك !

يا سيدي رحمة بالأدب ورفقا بالأدباء ، ومعذرة لهذه الكلمة الثائرة لك لا عليك ، وحسبك منها أن شاهدها الصدق ورائدها الضمير ! !

بين شوقي والرصافي :

أعرف فيك إخلاصك للفن ، وصدقك في النقد ، وجرأتك في الحق ، وترفعك عن المجاملات . . ولهذا كله أود أن أعرض عليك هذه القضية الأدبية التي أوغرت على الصدور في العراق وأثارت من حولي ضجيج الأقلام ! أود أن أعرضها عليك لتشارك فيها برأيك ، هذا الرأي الذي أحتكم إليه لينصفني أو لينصف غيري من المتحرشين والمتهجمين :

لا شك أنك تذكر أنني كتبت في الرسالة الغراء بضع مقالات أبديت فيها رأيي حول شعر الشاعرين : شوقي والرصافي . . ولقد قلت إن شوقي قمة شامخة من قمم الشعر في العربية ، وإن الرصافي لا يمكن أن يلحق بغباره مهما قال القائلون ، لأن شوقي شاعر العبقرية والرصافي شاعر القريحة ، وشتان بين المطبوعين على قول الشعر وبين النظامين !

قلت هذا فهاجمني بعض الأدباء هنا على صفحات الصحف وهاجمني البعض الآخر بالرسائل واللسان ، وهأنذا أنقل إليك ألوانا من هذا الهجوم الأخير :

كتب إلي صديق من « الموصل » يقول : « إنك قد تجنيت على الرصافي حين فضلت عليه شوقي ، لأن الرصافي أشعر من شوقي ولأن المصريين يسوؤهم أن يؤمر عليهم شاعر عراقي ، ولذلك أهملوه . . ولولا أني أعرف نزعة « الرسالة » الإقليمية لكتبت ردا عنيفا حول هذا الموضوع ، ولكني أعرف الناس بأنانية المصريين ! ولهذا فأنا عاتب عليك تفضيلك شوقي على الرصافي وأنت شاعر عراقي » !

وكتب إلي أديب آخر من « البصرة » يقول » : « ما كنت أحسب أن المجاملة للمصريين تصل بك إلى هذا الحد الذي تفضل فيه شوقي على الرصافي ! ترى هل أنت مصري أم عراقي ! وكيف تزعم أن شوقي أعظم من الرصافي ؟ والله إن ذلك ليسوؤني منك . . ولولا أني أخاف ألا تنشر الرسالة ردي لبعثت إليها بهذا الرد في الفاضلة بين الشاعرين » !

وقال لي أحد الشعراء العراقيين في معرض الحديث عن مقالاتي حول شوقي والرصافي : « إنني أعجب منك يا أستاذ ، لأنك تريد أن تنال الشهرة بواسطة مصر ، ولهذا لم تجد طريقة سوى أن تحطم الرصافي لترفع من شوقي ! لا يا أستاذ ! إن الرصافي عظيم عظيم حتى لا يفضل عليه أحد » !

وهكذا كان أسلوب النقد الذي وجه إلي من الأدباء والشعراء . . وبقي أن نسمع رأيك الفاصل في المشكلة ، رأي الكاتب الحر والناقد النزيه

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

أنا والله فى حيرة من أمر الأدباء العراقيين ! إذا تحدث ناقد مصرى عن أديب مصرى صاح أكثرهم فيما يشبه الغضب والعجب والاستنكار : نزعة عنصرية وعصبية إقليمية ! وإذا سكت الناقد المصرى واحتل مكانه فى التحدث من الأدباء المصريين ناقد عراقى ، صاح أكثرهم مرة أخرى فيما يشبه التأنيب والتثريب : متنكر للعراق ومجامل لمصر وكافر بالقيم ! ونحن بعد ذلك فى رأيهم أنانيون متعصبون ، نحيد عن الحق ونميل مع الهوى حين نحدد للأدب المعايير ونقام الموازين !

ومن العجيب حقا أن يوجه إلينا مثل هذا الاتهام وما أكثر ما نفيناه ، مقدمين الدليل القاطع والبرهان الناصع على أننا فوق الظنون والشبهات . وما طالما حاربنا تلك العصبية البغيضة على صفحات الرسالة ، ودعونا إلى نبذها بالقلم واللسان ، ورفعنا الصوت عاليا بأن ليس فى الأدب والعلم والفن مصرى ولا عراقى ، وإنما هناك كلمة واحدة نعتز بها ونطالب بأن تكون لنا خير شعار وعنوان . . هذه الكلمة الواحدة هى أن ننتسب جميعا إلى « العروبة » التى تشمل هذا الوطن الكبير ، وتنشر ظلالها السمحة على كل اسم من أسماء أهل الأدب والفن هنا وهناك !

قلنا هذا وكررناه . حتى مللناه ! ومع ذلك فالأدباء العراقيون غير راضين ولا مقتنعين ، حتى نسبح بحمدهم ونشيد بذكرهم ونقيم لأدبهم المعابد والمحاريب .. وإن لم نفعل فالويل لنا من ألسنتهم وأقلامهم، والويل كذلك لكل عراقى يشير إلى الأدب المصرى من بعيد أو قريب ! من يصدق بعد هذا كله أننا أصحاب تعصب وأنانية وأصحاب أهواء وأغراض ؟! ألا فليرجعوا إلى كلماتهم التى وجهوها إلى الأستاذ الناصرى وليراجعوا أنفسهم ليعلموا — إذا أنصفوا الحق والواقع — إلى أى فريق يجب أن يوجه الظن أو يقدم الاتهام !

وأعود إلى الأستاذ الناصرى لأقول له إن فكرة المقارنة بين الشاعرين « العربيين » باطلة . . باطلة فى رأى الحق والذوق والمنطق السليم ! إن المقارنة مثلا بين شوق والمتنبى أو بين شوق وابن الرومى أو بين شوق وأبى تمام شئ معقول ومقبول . . معقول لأن الطاقات الفنية هنا متقاربة ، ومقبول لأن الملكات الشعرية هنا متشابهة ، « معدنها » واحد وإن اختلفت مظاهرها تبعا لاختلاف الذوق بين « الصائغين » ! لهذا كله أقبل المقارنة بين شوق وهؤلاء وأطيق المفاضلة ، أما أن يقارن بين شوق والرصافى فهى المقارنة بين النهر الكبير والجدول الصغير ، أو بين الذهب والقصدير .. وليغفر لى الأدباء العراقيون « ضعف » الملكة الناقدة أو « غلبة » العصبية الإقليمية !!

ولا حيلة لى بعد ذلك فيمن ينكرون شوق ويعترفون بالرصافى وأمثاله من الشعراء ، إنهم أشبه بذلك الذى يذهب إلى سوق الفاكهة فتقع عينه على الكمثرى والتفاح ثم لا تقع يده إلا على الجميز والجوافة .. أمثال هؤلاء لا ينتظرون منى جدلا ولا مناقشة ، لأننى لا أطيق أن أناقش أذواقا تجهل فنون الطعم والمذاق ، حين تعرض عليها أنواع الفاكهة فى كل سوق من الأسواق !!

شاعر يودع الحياة :

كنت أقرأ شعره فأعجب به وأثنى عليه ، ومن أضواء هذا الشعر وظلاله رسم له الخيال على لوحة الشعور صورة إنسان ، إطارها الحس المرهف والفكر الناقم والشجن القيم .. لم أكن قد رأيته بعد ، وحين رأيته عدت إلى الصورة التى رسمها الخيال فلم أجد فارقا بينها وبين الصورة التى رسمها الواقع : كلتاهما تنقل عن الحياة ألوانها الحزينة القاتمة . تلك الألوان التى تترك أثرها العميق فى قسمات الوجه ونبرات الصوت وطريقة الأداء .. وهكذا لقيت الشاعر المصرى الراحل ، صالح شرنوبى رحمه الله !

قال له أحد الأصدقاء الأدباء إننى أذكر شعره بما يرضى الحق ويرضيه ، وإذا هو يسعى إلى ذات مساء ليقدم إلى شكره بعد أن قدم إلى نفسه ، فى صوت يقطر حياء ورقة ؟ حياء الإنسان ورقة الفنان .. وحين أكبرت حرارة اللقاء صدق ما بلغه من ثناء ، تبسط اللسان الحيى وتهلل الوجه الحزين ، وانطلق الشعور الملتاع يقص على فصولا من رواية طويلة ، كتبها بمداد الشجن تجهم الحياة وعقوق الناس !

وودعت صالح شرنوبى فى تلك الليلة . . وودعته وأنا أؤكد

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

وفاة شاعر ومباهج الشعراء

دعا جماعة من الشعراء، يوم الجمعة الماضي، إلى ندوة شعرية ينشدون بها في «مباهج الصيف» بحديقة جمعية الشبان المسيحية، وكان بين هؤلاء الشعراء الذين سيقولون في المباهج اسم الشاعر صالح الشرنوبي، ولكن الأقدار أبت على الطائر الذي ظل حياته كسير الجناح أن يذهب إلى فننه ليغرد، وشاءت أن تصنع مفارقة في مجال الشعر والأدب، فقد نشر نعي الشاعر في نفس العدد (من الأهرام) الذي نشر به اسمه مع شعراء الندوة!

عرفت الأستاذ صالح الشرنوبي من نحو عام، لقيته أول مرة في إحدى الأمسيات بندوة «الرسالة» ولقيته بعد ذلك بضع مرات، وقرأت له شعرا أطربني. لمست في شخصه روح الإنسان وأنس الأديب، ورأيت في شعره روعة الفن وصدق الأداء. لمحت فيه رقة الحال المستترة بالتجمل، ويخيل إلي أنه كان يتجمل بالشعر.. كان يعيش بقصائده التي تعمر جيبه.. ولم يكن يشعر أحدا بحاله، فقد كان من البؤساء المتعففين، فلم يثر جلبة حوله. وكان حييا متواضعا، إن ذكر شعره بالثناء خجل وأبدى شكره في تواضع عذب

إنسان رقيق النفس ورقيق الحال، عاش وديعا موادعا، ومر بأصدقائه ومعارفه مرور النسمة اللطيفة، وكان في مصر.. ومع ذلك برز اسمه بين الشعراء!

ويظهر أن شدة الأيام قد استحت من طول مخاشنته، فخاشنته، وأخذت به منذ شهور إلى مكان في تحرير جريدة الأهرام. وأخيرا أراد أن يتغنى بين إخوانه الشعراء بمباهج الصيف، ولكن الموت عاجله، فخلى مكانه في الندوة، وكان موته حريا أن يحيلها كلها إلى حزن وحداد، ولكن الشعراء — سامحهم الله — منحوه نصف ساعة ذكروه فيه على عجل، ثم أسرعوا إلى مباهجهم منشدين!

بدأت الندوة بكلمة من الأستاذ خالد الجرنوسي، رثى فيها الفقيد وعبر عن أساه لفقده، وألقت الآنسة روحية القليني أبياتا في رثاء الشاعر، كما ألقى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي قصيدة رثاء أيضا كانت أحسن ما قيل في الندوة. ووقف خطيب لم يعلق اسمه بذاكرتي فارتجل كلمة كنا نسامحه على ما جاء فيها من أخطاء وما لابسها من فهاهة لولا أنه ألقى أبياتا من قصيدة الشاعر الفقيد فأقض مضجعه وآلم روحه بما ارتكبه فيها من تكسير وتشويه!! والأبيات تنتهي بهمزة مكسورة، فبلغت الجناية مبلغها حينما كان يقلب القافية على أوجه الإعراب المختلفة من رفع ونصب وجر

ومما قاله ذلك الخطيب أن الشاعر مات ولم يحن حينه (بفتح

له يرووى باقاته، وأكرر له إعجابي بشعره، لتطمئن نفسه إلى أن له عند الحرصاء على القيم مكانا في الأدب العربي الحديث!

ومضت الحياة بصالح شرنوبي حتى علمت يوما أنه قد حورب في رزقه، حين فصل من عمله في إحدى المدارس الأجنبية وكان يحصل منه على أجر زهيد.. فصل من عمله كما قيل لي، لأنه كان كريما على نفسه فلم يرض لها أن تضام، ومخلصا لمصريته فلم يرد لها أن تهان؛ ومن هنا ثار على القائمين بأمر المدرسة دفاعا عن كرامة وطنه.. وطنه الذي لم يلتفت يوما إلى حقه عليه كأديب أو حقه عليه كإنسان!

وتناولت القلم لأعرض مأساته على الدكتور طه حسين باشا، ولكن معاليه كان قد غادر مصر إلى فرنسا فأمسكت القلم عن الكتابة إلى حين.. ويعود الوزير الأديب إلى أرض الوطن وأوشك أن أتناول القلم مرة أخرى لأتحدث إليه، ولكن صالح شرنوبي يعفيني من أداء هذا الواجب، ويودع الحياة والأحياء ويمضي في طريقه إلى لقاء الله.. فإلى قبره في ذلك المكان القفر حيث قدر لهذا الجسد المكدود أن يستريح، أقدم عزاء القلب ورثاء القلم!..

أنور المعداوي